تعلمت من يوسف عليه السلام

تلخيص المحاضرة الخامسة

كيد النساء

المقدمة

{ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ} من سورة يوسف، والتي تتحدث عن البرهان الذي رآه النبي يوسف عليه السلام، والذي حال بينه وبين الوقوع في المعصية. وأُشير إلى أنه لا يوجد نص صريح في القرآن أو السنة يحدد ماهية هذا البرهان، وكل ما ورد في ذلك إنما هو من الإسرائيليات، التي أباح لنا النبي ﷺ أن نرويها دون تصديق أو تكذيب، طالما أنها ليست مخالفة لنصوص الوحي .

- الآراء حول البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام :

ذُكرت بعض الروايات الإسرائيلية التي تحاول تفسير ماهية البرهان، ومنها :

١- أنه رأى صورة أبيه يعقوب عليه السلام على الجدار وهو يعض أنامله من الندم، ففهم أنه سيندم إن أقدم على المعصية .

٢- أنه رأى جبريل عليه السلام متجسدًا في صورة والده يعقوب .

٣- أنه رأى آيات مكتوبة على الجدار تنهى عن الفحشاء .

٤- أن البرهان كان نورًا من الله ألقاه في قلبه فثبّته .

لكن في النهاية، يظل الأمر في علم الله، ولا نملك دليلاً قاطعًا على أي من هذه الروايات، إلا أن الثابت هو أن يوسف عليه السلام تلقى برهانًا من الله صرفه عن المعصية وساعده على الثبات على الطاعة.

- المعنى الحقيقي لصرف السوء والفحشاء عن يوسف عليه السلام :

قال الله تعالى : { كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ } ، أي أن الله بهذه الطريقة صرف عنه مقدمات المعصية والمعصية ذاتها .

السـوء: هو كل ما يسوء الإنسان، ويفسر في هذا الموضع بأنه مقدمات الزنا، أي أي خطوة أو فعل يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة .

الفحشاء: هي المعصية الكبرى، أي الزنا نفسه .

وهذا يدل على أن الله تعالى حفظ يوسف عليه السلام بالكامل من المعصية، فلا وقع في الفاحشة ولا حتى في مقدماتها .

- **ردًّا على بعض الروايات الإسرائيلية المحرفة**

التي تزعم أن يوسف عليه السلام قام ببعض الأفعال ثم امتنع في اللحظة الأخيرة، فهذه روايات مرفوضة تمامًا لأن القرآن الكريم نصَّ على أن الله صرف عنه السوء والفحشاء تمامًا .

- **العبرة من موقف يوسف عليه السلام: خماسية النجاة من الفتن**

من خلال دراسة موقف يوسف عليه السلام، تم استخلاص خمسة أسباب رئيسية ساعدته على النجاة من هذه الفتنة، والتي يمكن أن تكون منهجًا عمليًا لكل إنسان يريد الثبات على الطاعة :

١- اللجوء إلى الله تعالى فورًا :

- أول رد فعل ليوسف عليه السلام عند تعرضه للفتنة كان الاستعاذة بالله، حيث قال" : { مَعَاذَ ٱللَّهِ } أي أنه طلب الحماية من الله على الفور .
- وهذا يعلّمنا أنه عند مواجهة أي فتنة، يجب أن يكون أول رد فعل هو التوجه إلى الله، لا التفكير في المقاومة بجهد شخصي فقط .

٢- استحضار حقوق المخلوقين:

- قال يوسف عليه السلام :

{ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ } ، والمقصود هنا إمّا الله سبحانه وتعالى أو سيده العزيز الذي ربّاه وأكرمه .

- أي أنه رفض المعصية لأنه استشعر حق الآخرين عليه، وخيانة الأمانة التي أعطاها له سيده، مما يعلّمنا أن استشعار الظلم الذي قد يصيب الآخرين بسبب ذنوبنا يساعدنا على تجنب المعاصي.

٣- تذكر عاقبة الذنب :

- قال : { إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ } ، مما يدل على أن الذنوب عواقبها وخيمة دائمًا، وتجلب الفشل والخسارة .
- ومن أعظم وسائل النجاة من المعصية أن يتذكر الإنسان العواقب السيئة للذنب، سواء في الدنيا أو في الآخرة .

٤- سوابق الخير والاستعداد المسبق للفتن :

- الله تعالى وصف يوسف عليه السلام بأنه { مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ }، وهذا يدل على أن إخلاصه السابق وأعماله الصالحة كانت سببًا في نجاته عند الشدة .
- وهذا يؤكد مبدأ مهمًا: التقوى والاستقامة في أوقات الرخاء، تُعين الإنسان على مواجهة الفتن عند وقوعها، مصداقًا لقول النبي ﷺ : " تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " .
- كما أن الإكثار من النوافل والعبادات يجعل الإنسان قريبًا من الله، مما يُنزل عليه معونة خاصة عند وقوعه في اختبار .

٥- الفرار من بيئة المعصية :

- في نهاية الموقف، لجأ يوسف عليه السلام إلى الفرار والهروب من مكان الفتنة .
- وهذا يعلّمنا أن أحد أفضل طرق مقاومة المعصية هو تجنب أماكنها والابتعاد عن كل ما يقود إليها.
- " ونفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل " ، لذا يجب أن يكون للإنسان بدائل صالحة تشغله عن الفتن .

دروس وعبر من القصة:

١- من صدق مع الله في ترك المعصية، أعانه الله ببرهان أو وسيلة تصرفه عنها .

٢- المعصية ليست فقط الفعل نفسه، بل أيضًا مقدماتها، وعلى المؤمن الحذر من الوقوع فيها .

٣- الإكثار من الأعمال الصالحة في أوقات الرخاء يحمي الإنسان وقت الفتن .

٤- التذكر المستمر لعواقب الذنوب يجعل الإنسان أكثر ثباتًا عند التعرض للإغراءات .

٥- الهروب من الفتنة وعدم التواجد في بيئة المعصية هو جزء أساسي من النجاة منها .

وأخيراً قصة يوسف عليه السلام درس عملي في كيف ينجو الإنسان من الفتن، خاصة فتنة الشهوات. الله سبحانه وتعالى وعد بأن من يسعى إليه ويخلص في عبادته، سيعينه ويحفظه من الانحراف، كما فعل مع يوسف عليه السلام { كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ } .

فوائد من قصة يوسف عليه السلام وبرهان النجاة من الفتن

١- الإخلاص سبيل النجاة من الفتن :

قال تعالى { إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ } وهذه الآية لها قراءتان :

- المُخلَصين: أي الذين أخلصهم الله وطهرهم من الفتن .
- المُخلِصين: أي الذين أخلصوا نياتهم لله .
- القراءتان متلازمتان؛ فمن أخلص لله، أخلصه الله. ولهذا قال السلف: " يا نفس أخلصي تتخلصي " .
- كيف يحمي الإخلاص من المعصية؟
- القلب المملوء بإرادة وجه الله لا يجد الشيطان مدخلًا إليه .
- المعاصي مدخلها الرغبات الدنيوية (المال، الشهرة، الشهوات)، فإذا زالت هذه الإرادات، لا يجد الشيطان طريقًا إلى القلب .
- عندما يعزم الإنسان على معصية، فإن الإخلاص يردعه؛ لأن المعصية تعارض إرادته لله وخوفه من خسارة الآخرة .

٢- عبادة الخلوات تحصّن من ذنوب الخلوات :

قال تعالى : { كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ } .

- من أراد النجاة من الذنوب الخفية، فليكثر من العبادات الخفية؛ لأن من تعوّد طاعة الله في السر، سهل عليه ترك المعصية في السر .

٣- الفرار من الفتنة ضرورة وليس ضعفًا :

{ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ } دليل على أن الفرار من الفتنة مطلوب حتى بعد اتخاذ الاحتياطات السابقة (الاستعاذة بالله، استحضار العواقب، الإخلاص...) .

- بعض الناس يستهين بوجوده في بيئات الفتنة بحجة أنه قوي الإيمان، لكن الفتن خطافة، ومن يعرض نفسه لها قد يسقط .

- النبي يوسف عليه السلام فرَّ من الموقف رغم كل التدابير السابقة، مما يعلّمنا أن الاحتياط حتى النهاية واجب .

٤- لا تستهِن بأخذ الأسباب، حتى لو بدت ضعيفة :

- يوسف عليه السلام جري نحو الباب رغم أنه كان مغلقًا، لكنه أخذ بالسبب، ففتح الله له باب النجاة .

- العجيب أن العزيز عاد في اللحظة التي هرب فيها يوسف، ومن الباب ذاته الذي اتجه إليه، مما يوضح أن الله يُبارك في الأسباب الضعيفة إذا صَدَق العبد في طلب النجاة .

- هذا يعلمنا أن على الإنسان أن يفعل كل ما في وسعه للهروب من المعصية، حتى لو لم يكن متأكدًا من النتيجة، فالله يدبر له الخير .

- الإخلاص يحمي من الفتن؛ لأن الشيطان لا يجد منفذًا للقلب الممتلئ بإرادة وجه الله .

- عبادة الخلوات تقي من معاصي الخلوات، فالسر بين العبد وربه يصونه عند الاختبار .

- الفرار من بيئة المعصية واجب، ولا ينبغي للإنسان تعريض نفسه للفتن .

- الأخذ بالأسباب ولو بدت ضعيفة هو مفتاح النجاة، والله يُدبر لعبده إذا صدق في طلب الهروب من الحرام .

الهروب من الفتن: دروس من قصة يوسف عليه السلام

- إن الإنسان يتأثر بمن يجالسهم، فحتى لو كان مستقيمًا، فإن وجوده وسط من يتحدثون عن الفواحش يجعله يشعر بالنقص وقد يدفعه إلى التقليد. فالفتاة المؤدبة التي تجلس مع صديقات

يتحدثن عن العلاقات المحرمة، أو الشاب الذي يجالس أصدقاء غارقين في المعاصي، سيتأثرون بهم دون أن يشعروا. لذا، فإن أول خطوة لحماية النفس هي الفرار من هذه الأجواء الملوثة.

الهروب من الإباحية والمعاصي

- يجب على الإنسان أن يتخذ خطوات فعلية للابتعاد عن المحرمات، كحذف أي محتوى غير لائق من الهاتف، وحجب المواقع الإباحية، وتجنب الأماكن التي تكثر فيها الفتن كالاختلاط غير المنضبط، والمناسبات التي تشجع على المعاصي. فالفتن ستظل تلاحق الإنسان، لذا يجب أن يسبقها هو بالفرار منها، كما فعل يوسف عليه السلام حين { وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ } .

تعريف جديد للرجولة

- الرجولة ليست في كثرة العلاقات أو معرفة العديد من الفتيات، بل في القدرة على ضبط النفس والابتعاد عن المعصية. للأسف، بعض الفتيات يعجبن بالرجل الذي له علاقات كثيرة، ويعتبرنه جذابًا، بينما يعدون الشاب المستقيم ضعيفًا أو خجولًا. لكن الحقيقة أن الرجل الصادق هو الذي لم يدخل في علاقات غير مشروعة، لأنه بذلك يكون قادرًا على الإخلاص لزوجته، ولا يقارنها بأحد. فالعلاقات السابقة ليست مصدر خبرة، بل قد تكون سببًا في فساد العلاقة الزوجية.

فتنة امرأة العزيز وعاقبة العشق المحرم

- قصة يوسف عليه السلام تكشف عن مدى خطورة العشق المحرم، فامرأة العزيز لم تكتفِ بمحاولة إغوائه، بل لاحقته بجنون حتى مزقت قميصه. وهذا يوضح أن الفتنة قد تطارد الإنسان حتى لو حاول الابتعاد. المعصية تعمي البصيرة، وتجعل الشخص يتخذ قرارات غير منطقية، تمامًا كما حدث مع بعض الشباب والفتيات الذين يتورطون في حب محرم، ثم يتصرفون باندفاع ضد مصلحتهم، كأن تعاند الفتاة أهلها وتهرب، أو يصر الشاب على علاقة محكوم عليها بالفشل .

ضوابط الحب المشروع

الحب في الإسلام له حدود واضحة :

- إذا كان ناشئًا عن إعجاب بصفات حميدة، ولم يترتب عليه محرمات، وانتهى بالزواج، فهو حب مشروع .

- إذا نشأ من طريق محرم، كالمكالمات والعلاقات غير الشرعية، فهو حب محرم .

- حتى الحب المشروع لا يجب أن يطغى على حب الله ورسوله، لأن ذلك يؤدي إلى تقديم أمر المحبوب على أمر الله، مما يعرض الإنسان للضياع .

العبرة والختام

- من قصة يوسف عليه السلام نتعلم أن *السبيل للنجاة من الفتن* هو الهروب منها، وليس مواجهتها أو التساهل معها. المعاصي تسلب الإنسان عقله، وتدفعه لاتخاذ قرارات قد تدمر حياته. لذلك، على الإنسان أن يحفظ قلبه وعلاقاته في إطار ما يرضي الله، ليحقق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة .

العفة طريق النجاة

- الحب شعور فطري زرعه الله في قلوب البشر ، لكن هناك حدًا خطيرًا لا ينبغي تجاوزه، وهو العشق. العشق إفراط في التعلق يجعل الإنسان منقادًا تمامًا للمحبوب، لا يرى سوى رغبته في الوصول إليه، ولو كان ذلك على حساب دينه وقيمه. هذا ما وقعت فيه امرأة العزيز، حيث blindedها العشق عن الصواب، فسعت خلف يوسف عليه السلام بلا وعي، دون أن تبالي بالحلال والحرام. لكن المسلم متزن، لا هو جاف المشاعر فينكر الحب تمامًا، ولا هو غارق فيه حتى يعبده كما تصور لنا المسلسلات والأغاني. بل يحب باعتدال، حبًا محكومًا بعقله وإيمانه، فلا يطغى على حب الله ورسوله .

خطورة العشق المحرم

- العشق إذا تجاوز حدوده، أعمى البصيرة ودفع الإنسان لفعل ما لا يُعقل، كما حدث مع امرأة العزيز التي لم تكتفِ بإغواء يوسف، بل لاحقته ومزقت قميصه، وكادت تدفعه إلى الخطيئة. وهذا التحذير لكل من ينجرف خلف مشاعر غير منضبطة، فيخضع للحبيب في كل شيء، حتى لو كان على حساب دينه وأخلاقه. الحب الذي يقود الإنسان لمعصية الله ليس حبًا، بل فتنة يجب الهروب منها، تمامًا كما فرَّ يوسف من امرأة العزيز .

العفة جمال لا يدركه الجميع

- يوسف عليه السلام لم يكن جميل الخِلقة فحسب، بل كان الأجمل خلقًا وعفةً، وهذا هو الجمال الحقيقي. العفة تضفي على الإنسان هيبة وجمالًا معنويًا لا يفهمه إلا أهل الإيمان. فالمرأة المستترة الحيية جميلة، حتى لو لم يرَ الناس وجهها، لأن عفتها تمنحها نورًا واحترامًا، عكس المرأة المتبرجة التي قد تكون جميلة ظاهريًا، لكن قلة الحياء تُذهب هذا الجمال. فالجمال ليس في الشكل فقط، بل في الأخلاق والحياء والطهر .

أدب القرآن في عرض الفتن

القرآن عند سرده لقصة يوسف عليه السلام، حافظ على العفة والحياء حتى في عرض المواقف الحساسة، فلم يستخدم ألفاظًا خادشة أو تفاصيل محرجة. على العكس، نجد في زماننا برامج وأفلامًا تتحدث بلا خجل عن أمور يجب أن تُقال في نطاق خاص، مما ينشر الفساد ويهدم القيم. الإسلام يُعلّمنا أن الحديث عن مثل هذه الأمور يجب أن يكون بقدر، وبأدب، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين استحى أن يشرح للمرأة تفاصيل الطهارة، فوضحت لها السيدة عائشة ذلك على انفراد.

العفة تنقذ الآخرين

يوسف عليه السلام لم يكن العفيف الوحيد في القصة، بل عفته أنقذت امرأة العزيز من ارتكاب الفاحشة، لأنه لو استجاب لها، لانجرفت إلى ما هو أسوأ. وهذا درس مهم لكل شاب وفتاة في علاقة غير شرعية: قطع العلاقة ليس ظلمًا للطرف الآخر، بل إنقاذًا له وللنفس من التمادي في الخطأ. قد يكون الشخص الذي تحبه لم يقع في علاقات سابقة، لكنه تعلّق بك وحدك، فإن انسحبت من حياته، عاد إلى عفته ونقاء قلبه. أما التمادي في الحرام، فهو الظلم الحقيقي لكلا الطرفين .

الحب في الإسلام محكوم بضوابط تحفظ للإنسان دينه وكرامته، والعفة ليست مجرد فضيلة فردية، بل هي مصدر جمال وهيبة وحماية من الفتن. فلا تغترّ بالمظاهر الزائفة، فالجمال الحقيقي في الطهر والنقاء، وكما أن العشق المحرم يُهلك صاحبه، فإن العفة تنجيه، وتحفظ له سعادته وكرامته في الدنيا والآخرة .

العلاقة السوية بين الرجل والمرأة في ضوء قصة يوسف عليه السلام

في قوله تعالى : { وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ } ، نجد أن القرآن وصف الزوج بالسيد، إشارةً إلى عِظَم حقه على زوجته. فالزواج القائم على الاحترام المتبادل والتقدير هو أساس البيت السوي، حيث يُحسن الرجل لزوجته ويكرمها، وتنظر إليه بعين التوقير والامتنان. لكن حين يختل هذا الميزان، تحدث الفوضى داخل الأسرة.

حينما كُشف أمر امرأة العزيز، سارعت بإنكار فعلتها وألقت التهمة على يوسف عليه السلام قائلةً:

{ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } ، في دلالة واضحة على أن حبها لم يكن إلا حبًّا أنانيًّا لنفسها، إذ لم تتردد في التضحية به لحماية صورتها الاجتماعية. غير أن يوسف عليه السلام واجه الموقف بعفة وحياء، ولم يذكر تفاصيل تُحرج أو تجرح، فقال: { قَالَ هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۦ } ، وهو ما يعكس الفرق بين الطهر والانحراف، حيث لم يلجأ يوسف إلى فضحها أو التشهير بها، بل اكتفى بالإشارة إلى الحقيقة بأسلوب مهذب .

عندما شهد شاهد من أهل امرأة العزيز، اعتمد على القرائن المنطقية، فقال : { إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ }

{ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ } وبالفعل، حين رأى العزيز القميص ممزقًا من الخلف، تيقن من خيانة زوجته، وقال : { قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ } ومن المهم الإشارة إلى أن هذه العبارة ليست قاعدة عامة عن كل النساء، وإنما جاءت في سياق مجتمع كانت فيه النساء متسلطات، بينما الرجال ضعفاء ومتساهلون، كما كان حال العزيز الذي لم يتخذ موقفًا صارمًا رغم انكشاف الحقيقة .

- فالمرأة، بطبيعتها، تمتلك ذكاءً ومهارة في التدبير، قد يتحول إلى كيد سلبي إذا غلب عليه الهوى، لكنه قد يكون وسيلة لحماية بيتها وزوجها إذا وُجِّه للخير. الفرق إذًا يكمن في التقوى والنية، فالمرأة الصالحة تُحسن توظيف هذه المهارات لصون أسرتها، بينما المرأة الفاسدة قد تستغلها لتحقيق مآربها الخاصة .

- وهكذا، فإن التوازن في العلاقات، حيث يقوم الرجل بدوره كراعٍ ومسؤول، والمرأة بدورها كحافظة للبيت، هو ما يصنع المجتمع السوي، بعيدًا عن الانحرافات التي تنشأ حين يختل هذا النظام الطبيعي.

التأمل في قصة يوسف: القيم والعبر

- في قصة يوسف عليه السلام، تكشف الآيات تفاصيل دقيقة حول العلاقة بين الرجل والمرأة، وتأثير البيئة والمجتمع على تصرفاتهما. يقول الله تعالى: { وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ } وهنا يوصف الزوج بالسيد، إشارة إلى مسؤوليته الكبيرة وحقه على زوجته. لكن هذه المكانة تستلزم منه أن يكون أهلًا لها، فيحسن إلى زوجته، وينفق عليها، ويعاملها بالرحمة، وهي بدورها تحترمه وتقدّره، مما يخلق أسرة متماسكة ومتوازنة .
- لكن حين تفسد هذه المنظومة، كما حدث مع امرأة العزيز، فإن التوازن يختل. حبها ليوسف لم يكن حبًا نقيًا، بل حب أناني متعلق برغبتها الشخصية، بدليل أنها تخلت عنه فورًا واتهمته ظلمًا عندما انكشفت القصة : { قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ } ولم يدافع يوسف عن نفسه بكلمات جارحة، بل اكتفى بالقول : { قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ } ، في أدبٍ عظيم رغم الظلم الذي تعرض له .
- الشاهد: هل كان طفلًا أم رجلًا؟

اختلفت الروايات حول هوية الشاهد، فهناك قول بأن الشاهد كان طفلًا نطق في المهد، لكن الحديث الوارد في هذا ضعيف، والراجح أن الشاهد كان رجلًا من أقارب امرأة العزيز. وذلك لأن حكمه كان منطقيًا، اعتمد على القرائن، ولم يكن معجزة لافتة لأن أهل المدينة لم يتوقفوا عنده، بل استمر الحديث عن الواقعة بشكل طبيعي .

- كيد المرأة: هل هو عظيم دائمًا؟

عندما قال العزيز : { قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ } ، كان ذلك توصيفًا لحالة خاصة، وليس قاعدة عامة لكل النساء. في مجتمع كان الرجال فيه ضعفاء والنساء متسلطات، أصبح الكيد وسيلة للهيمنة. لكن في المجتمعات السوية، لا يكون الكيد بهذا الشكل المدمر، بل قد يكون وسيلة ذكية

تستخدمها المرأة في الخير، كما فعلت أم سلمة عندما أشارت على النبي ﷺ بحل المشكلة التي واجهها في صلح الحديبية .

- **ضعف العزيز وغياب الغيرة**

رغم وضوح الحقيقة، كان رد فعل العزيز ضعيفًا، فقال ليوسف :{ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ } ، وكأنه يريد طي الصفحة فقط لتجنب الفضيحة، ثم قال لامرأته : { وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ } ، دون اتخاذ أي موقف حاسم ضد خيانتها. وهذا يعكس بيئة اجتماعية كانت الفضيحة فيها أهم من الأخلاق نفسها .

- **تأثير دعوة يوسف عليه السلام**

رغم كونه عبدًا في قصر العزيز، إلا أن يوسف لم يتوقف عن الدعوة إلى الله. وهذا واضح في المفاهيم التي انتشرت في المجتمع، مثل الاستغفار والحديث عن الملائكة. حتى امرأة العزيز نفسها، بعد مرور الأحداث، استخدمت مفردات دينية لم تكن مألوفة في بيئتها، مما يدل على تأثير يوسف الدعوي العميق.

- **نفاق الطبقات الاجتماعية**

- عندما انتشر الخبر، لم يكن اعتراض نسوة المدينة على فكرة الخيانة نفسها، بل على أن امرأة العزيز وقعت في حب عبد، وليس رجلًا من مستواها : { قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ } وهذا يشبه نفاق بعض المجتمعات الحديثة، حيث تُقبل التصرفات الخاطئة في فئات معينة، بينما تُدان بشدة عند غيرهم .

- تكشف قصة يوسف عليه السلام عن حقائق إنسانية واجتماعية تتكرر في كل زمان ومكان. فهي تبرز قيمة العفة، وخطورة الشهوة غير المنضبطة، وتأثير البيئة على الأفراد، فضلًا عن أهمية الثبات على المبادئ مهما كانت الإغراءات .

- **دروس وعبر من قصة امرأة العزيز وفتنة يوسف عليه السلام**

تروي لنا قصة يوسف عليه السلام وامرأة العزيز تفاصيل مليئة بالحكمة والعبر، تحمل في طياتها رسائل خالدة تتجلى في المواقف والأحداث التي وقعت. ومن بين الدروس المستفادة ما يلي :

١- رفع الستر وانكشاف الحقيقة

- ظنت امرأة العزيز أنها قادرة على إخفاء فعلتها بإحكام الأبواب، لكن إرادة الله شاءت أن يفضح الأمر حتى وصل إلى كل المدينة. وهذا درس مهم في أن الستر نعمة، ولكن إذا استمر الإنسان في المعاصي فقد يُرفع عنه هذا الستر، ويصبح حديث الناس .

٢- الستر نعمة قد تزول

- لو كشف الله ستره عن أي إنسان لصار حديث المجالس، فكل منا لديه ذنوبه وأخطاؤه التي لا يعلمها إلا الله. لذا، ينبغي أن يشكر الإنسان ربه على ستره، وألا يغتر بكونه بعيدًا عن أعين الناس .

٣- التأثير الإعلامي وربط القضايا بالمشاهير

- القرآن لم يذكر اسم المرأة، بل أشار إليها بصفة { ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ } ، مما جعل القصة تأخذ انتشارًا أوسع. فالناس تميل إلى الاهتمام بأخبار الشخصيات المعروفة أكثر من الأشخاص العاديين، وهذا شبيه بعصرنا اليوم حيث تزداد شهرة الأحداث عندما ترتبط بالمشاهير .

٤- الابتعاد عن مواضع الشبهات

- من وضع نفسه في موضع شبهة، فليتحمل سوء الظن. حتى لو كانت النية سليمة، فإن الناس تحكم بالمظاهر، ولهذا كان النبي ﷺ حريصًا على توضيح موقفه حين رآه الصحابة مع زوجته صفية فقال : " إنها صفية " وهذا درس لكل شخص أن يبتعد عن أي موقف قد يثير الشك أو التأويل الخاطئ .

٥- التلاعب بالألفاظ لإخفاء المقاصد الحقيقية

عندما تحدثت نسوة المدينة عن امرأة العزيز، بدا في الظاهر أنهن ينكرن عليها، لكن في الحقيقة كنَّ يرغبن في رؤية يوسف عليه السلام بأنفسهن. وهذا يُشبه موقف السيدة عائشة عندما حاولت إقناع النبي ﷺ بأن لا يجعل أبا بكر يصلي بالناس بحجة أنه رجل أسيف، لكن النبي ﷺ فهم مقصدها الحقيقي، وقال لها : " إنكن صواحب يوسف " .

٦- المكر النسائي وكيف واجهته امرأة العزيز

عندما سمعت امرأة العزيز بكلام النسوة، لم تتجه إلى الدفاع عن نفسها بالكلام، بل أعدت لهن مجلسًا وأعطت كل واحدة منهن سكينًا، ثم أظهرت لهن يوسف عليه السلام، مما جعلهن يندهشن إلى درجة أنهن قطعن أيديهن دون أن يشعرن. وهذا يدل على قوة التأثير البصري، وكيف يمكن للمكر أن يُستخدم لتحقيق الأهداف الخفية .

قصة يوسف عليه السلام تحمل في طياتها حكمًا عميقة، من أهمية الستر، وخطورة الشبهات، والتلاعب بالكلام، إلى تأثير الإعلام وانتشار الفضائح. وهي تذكير لنا بأن الله هو الحافظ، وأن الإنسان يجب أن يسير في حياته بحذر، متجنبًا مواضع الريبة، ومحافظًا على سمعته ودينه .

فوائد مستخلصة من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز والنسوة

١- الفضيحة بيد الله

- امرأة العزيز حاولت إخفاء خطيئتها، لكن الله أخرج الأمر للعلن ليكون عبرة، مما يدل على أن الستر قد يُرفع عن الإنسان في أي لحظة .

٢- من رفع الله ستره صار حديث المجالس

- مهما حاول الإنسان إخفاء أفعاله، فقد يكشفها الله للناس، فالعاقل يتجنب الوقوع في مواضع الشبهات .

٣- الشُهرة ترفع الترينـد

- عندما تحدث النسوة عن امرأة العزيز لم يذكروا اسمها، بل ربطوها باسم زوجها "العزيز " ليُشهروا القصة أكثر، كما يحدث اليوم مع فضائح المشاهير .

٤- " من وضع نفسه في مواضع الشبهات فليتحمل سوء الظن "

- وضع النفس في مواضع الريبة يُعرِّض صاحبه للقيل والقال، ولهذا حتى النبي ﷺ حرص على رفع الشبهة عندما رأته الصحابة مع زوجته صفية، فوضح لهم الأمر قبل أن يسيئوا الظن .

٥- الناس قد يُظهرون العتاب لكن دوافعهم الحقيقية مختلفة

- النسوة عاتبن امرأة العزيز، لكن في الحقيقة كنّ يردن رؤية يوسف عليه السلام، وهذا يوضح أن بعض الانتقادات ظاهرها النصح وباطنها غرض آخر .

٦- إغواء الآخرين لتبرير الخطأ

- الزاني يحب أن يزني الجميع ليخفف من وطأة ذنبه، ومن يفعل معصية يسعى لنشرها، كما أن المدخن يعرض السجائر على غيره، والمخطئة تُشجع صديقاتها على الخطأ.

٧-بداية الشر تكون بالنظر

- النساء لم يُفتنَّ بيوسف إلا بعد أن رأينه، مما يدل على أن الخطوة الأولى في كثير من الفتن هي إطلاق البصر، ومن حفظ بصره حمى قلبه .

٨-الاستقامة تورث الهيبة وتحمي صاحبها

- عندما رأين يوسف أكبرنه، أي عظمنه وهابوه بسبب النور الظاهر عليه، مما يوضح أن الإنسان المستقيم يحظى باحترام الناس وهيبتهم .

٩- السمعة تحمي صاحبها

- سلوك الإنسان وسمعته تسبقه، فالفتاة المحتشمة لا يتجرأ أحد على مضايقتها، والشاب صاحب الأخلاق العالية يحترمه الجميع .

١٠- ليس كل ثبات دليل قوة إيمان، فقد تكون الفتنة لم تأتِ بعد

- النسوة كنّ ثابتات حتى رأين يوسف، فانهارت مقاومتهن. وبالتالي، لا ينبغي للإنسان أن يغتر بثباته الحالي، فقد تكون الفتنة التي ستختبره لم تأتِ بعد .

١١- عشق الحرام يأتي بعد مقدمات خاطئة

- النظر المتكرر، التحدث المطول، والتواصل الدائم قد يجر الإنسان إلى العشق المحرم الذي يُفقده السيطرة على أفعاله .

١٢- أسوأ من الذنب تبريره، وأسوأ من التبرير التمادي فيه

- امرأة العزيز لم تكتفِ بالخطأ، بل بررته قائلة : { فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ } والأسوأ أنها لم تتوقف، بل استمرت في غواية يوسف .

١٣- نزع الحياء يقود إلى الجرأة على الفحش

- امرأة العزيز لم تخجل من الاعتراف أمام الجميع بأنها راودت يوسف عن نفسه، مما يوضح كيف يمكن للإنسان أن يصل إلى درجة من الجرأة عندما يفقد الحياء .

القصة مليئة بالعبر حول الفضيحة، سوء الظن، أثر النظر، قوة الاستقامة، دور السمعة، خطر تبرير المعصية، وتأثير الفتن على القلوب. كل هذه الدروس تجعلنا أكثر حرصًا على تجنب الخطأ، والاستمرار في إصلاح أنفسنا .

تلخيص مستفاد من قصة يوسف عليه السلام

في قصة يوسف عليه السلام، تتجلى لنا العديد من العبر والدروس العميقة التي تعكس طبيعة النفس البشرية، وكيف يمكن للإنسان أن يكون ثابتًا على الحق مهما اشتدت الفتن .

١- خطورة إشاعة المعصية :

عندما يقع الإنسان في ذنب، فإنه يتمنى أن يقع فيه غيره حتى لا يشعر بوحدته أو بالذنب. وهذا ما نراه في تصرفات كثير من الناس الذين يسعون إلى ترويج الخطأ حتى لا يكونوا وحدهم المخطئين. لكن من الحكمة أن يعترف الإنسان بخطئه بدلاً من نشره بين الناس .

٢- بداية الفتنة بالنظر :

إطلاق البصر هو أول أبواب الفتنة، كما حدث مع نسوة المدينة عندما رأين يوسف عليه السلام، فانقلبت أحوالهن ووقعن في الإعجاب الشديد به. وهكذا، فإن الإنسان طالما لم يرَ المحرمات ولم يقترب منها، فإنه يظل في مأمن من الانجراف نحوها .

٣- أثر الاستقامة على المظهر والهيبة :

نور الاستقامة والصدق يظهر على وجه صاحبه، فيبعث في قلوب الناس هيبة واحترامًا. فمن أراد أن يحمي نفسه من الفتن، فليحرص على سمعته، وسلوكه، ومظهره الذي يعكس التزامه القيمي والديني

٤- تبرير الذنب أخطر من الذنب نفسه :

امرأة العزيز لم تكتفِ بالوقوع في الخطيئة، بل بررت فعلتها أمام النساء، وهذا من أخطر الأمور، لأن التبرير يجعل الإنسان يتمادى في الخطأ بدلاً من التوبة والرجوع عنه .

٥- العزة الحقيقية بيد الله :

عندما هددت امرأة العزيز يوسف عليه السلام بالسجن والإذلال، لم يكن ذلك إلا طريقًا إلى عزته ورفعته، لأن العزة الحقيقية لا تأتي من الناس، بل من الله وحده .

٦- اختيار الدين على الدنيا :

يوسف عليه السلام اختار السجن على الوقوع في الخطيئة، لأن الحرية التي تأتي على حساب الدين ليست حرية حقيقية، بل عبودية للشهوات. وهذا يرسخ قاعدة عظيمة : " إذا خيرت بين دينك ودنياك، فاختر دينك، لأن الدنيا زائلة، أما الدين فهو عصمة الأمر ."

٧- الفتنة قد تأتي متأخرة :

ثبات الإنسان أمام الفتن لا يعني أنه قوي الإيمان بالضرورة، فقد يكون السبب في ذلك أن الفتنة لم تأته بعد. لذلك يجب ألا يغتر الإنسان بثباته الحالي، بل عليه أن يحصن نفسه دائمًا بالإيمان والاستعانة بالله .

٨-اللجوء إلى الله هو الحماية الحقيقية :

عندما تعرض يوسف عليه السلام للابتلاء، لم يعتمد على نفسه، بل استعصم بالله، فأعانه الله وصرف عنه كيد النساء. وهذا يعلمنا أن النجاة من الفتن تحتاج إلى قوة داخلية لا تأتي إلا بالالتجاء الصادق إلى الله .

٩-الصبر على الأذى سبيل إلى الرفعة :

رغم أن يوسف عليه السلام ظُلم وسُجن بغير حق، إلا أن هذا الابتلاء كان طريقًا إلى عزته، حيث صار في النهاية عزيز مصر. وهذا يؤكد أن الصبر على الابتلاءات قد يكون بابًا واسعًا للخير والتمكين .

ختامًا، هذه القصة العظيمة ترسخ فينا أهمية الثبات على المبادئ، والاستعانة بالله، واليقين بأن العاقبة لأهل التقوى، مهما واجهوا من صعوبات وابتلاءات.